إقالة بابوات روما منذ فجر الكنيسة حتى عام 1059م

The deposition of the popes of Rome since the dawn of the church until the year 1059 AD

إعداد

د. ايمان عبد التواب خلاوى حسنين

المدرس بقسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الحادى الستون - يوليو - الجزء الثانى - لسنة 2023

إقالة بابوات روما منذ فجر الكنيسة حتى عام 1059م

د. ايمان عبد التواب خلاوى

أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع

لطالما كانت البابوية تفخر بتاريخها وبنظمها كمؤسسة دينية على رأسها البابا؛ فهو خليفة السيد المسيح ووريث بطرس الرسول وصاحب الموروث الدينى للسمو البابوى الذى تناقله عقل ووجدان الشعوب المسيحية الكاثوليكية عبر الأجيال؛ فكان البابا على قمة الهرم الدينى يعلو بسلطته ولا يعلو عليه أحد، وما بين "النظرية البطرسية" و"نظرية السيفين" تمتع بسلطة مطلقة لأنه الذى يجمع فى يديه السيفين سيف الأرواح وسيف الأبدان، ولذلك انفرد البابا بسلطة مادية ومعنوية مطلقة فى الإصلاح والتقويم لأى خلل يظهر فى المؤسسة الدينية الكاثوليكية، لكن تلك السلطة المطلقة تعرضت للعزل والإقالة ولم يشفع للبابا أنه السلطة الأعلى التى تُحاسِب ولا تُحاسَب، فخليفة السيد المسيح لا يقدر على مساءلته إلا المسيح ذاته، وإن تعرض البابوات للإقالة أو العزل يفترض وجود قوة أعلى من البابا لديها القدرة على إزاحته من المشهد سياسيا أو دينياً، وبالتالى تتجلى لنا عدة تساؤلات أهمها تحديد مفهوم إقالة البابوات ومدى شرعيته؟ ومن لديه القدرة على إقالة البابوات، وبمقتضى أى سلطة حدث ذلك هلى هى سلطة دينية أم علمانية ؟ وما هى الأسباب التى أدت لإقالة بعض البابوات؟ وهل يمكن حصرها فى ظواهر معينة تمكننا من تحديد أنواع الإقالة؟ كل تلك التساؤلات وغيرها كانت دافعاً لاختيار الموضوع عن إقالة البابوات فى العصور الوسطى؛ لتبيان كيف ومتى تم استغلال ظاهرة إقالة البابوات وهو ما سيتم رصده فى الصفحات التالية.

وبالنسبة للمنهج المتبع فى البحث فقد انتهجت الباحثة المنهج التاريخي بما يشتمل عليه من تحليل ومقارنة واستنباط، بهدف رصد فكرة الإقالة لبعض البابوات، فكان البعد الجغرافى للبحث ومسرح الأحداث هو إيطاليا وتحديداً مدينة روما بوصفها مقر الكرسى الرسولى. وبالنسبة للإطار الزمنى للبحث فيبدأ منذ فجر الكنيسة دون تحديد تاريخ لأن البداية لم تكن محددة إذ إن تاريخ الكنيسة الباكر كان ضبابياً غير محدد الملامح لسرية الديانة المسيحية فى قرونها الأولى، وبالتالى يصعب تتبع حالات الإقالة الأولى. أما تحديد نهاية موضوع البحث فقد تحدد بعام 1059م؛ وهو العام الذى عقد فيه مجمع قصر اللاتيران الذى أصدر فيه البابا نيكولاس الثانى Nicholas II (1059– 1061م) وثيقة "In nomine Domini" وهو مصطلح لاتينى معناه "باسم الرب"، وقد وضع هذا المرسوم

البابوى بالإضافة لقرارات المجمع الكنسى قواعد وشروط انتخاب البابا ومتى يتم اختيار البابا وعزله من منصبه. وبناء على ما سبق تم تقسيم محاور البحث بناء على التتابع الزمنى للسلطات الحاكمة التى مرت على البابوية بمعنى رصد إقالات البابوات فى روما على النحو التالى : **المحور الأول:** إقالة البابوات منذ فجر الكنيسة فى القرن الثامن الميلادى وهى الفترة التى خضعت فيها البابوية لحكم أباطرة بيزنطة والقوط الشرقيين واللمبارديين. **المحور الثانى:** إقالة البابوات منذ العصر الكارولنجى حتى نهاية القرن التاسع الميلادى. **المحور الثالث:** إقالة البابوات فى عصور البابوية المظلمة منذ عام 903م حتى عام 964م. **المحور الرابع:** إقالة البابوات منذ عهد الإمبراطورية الألمانية الأوتونية Ottonian dynasty 962م حتى عام 1059م. **المحور الخامس:** وثيقة البابا نيكولاس الثانى In nomine Domini عام 1059م ودورها فى إنهاء إقالة البابوات.

الدراسات السابقة

على الرغم من أن إقالة البابوات كعنوان للبحث لم تعثر الباحثة على دراسة أو عنوان يحمل نفس المسمى بشكل مباشر، إلا أن هناك بعض الدراسات التاريخية العامة التى أنارت الطريق للباحثة، لتتبع الفكرة ورصدها من خلال الأعمال التاريخية الت تتناول تاريخ البابوات أو تاريخ كنيسة روما بعامة، لاستخلاص حالات الإقالة من بين عشرات البابوات، وكيف تم اختيارهم أو الإطاحة بهم من مناصبهم ومن تلك المؤلفات: كتاب خلف الأبواب المغلقة تاريخ الانتخابات البابوية ومؤلفه بومجارتنر ماكنمارا Behind locked doors "a history of the Papal elections" [1] ورغم أن الكتاب فكرته قائمة على تاريخ الانتخابات البابوية واختيار البابوات حتى القرن العشرين، إلا أنه أفاد الباحثة فى معرفة طرق اختيار البابوات ومن ثم تتبع حالات الإقالة التى خرجت عن قواعد الانتخاب البابوى، وقد تركزت افادة الباحثة فى الفصل الأول من الكتاب على وجه التحديد .

وهناك أيضاً دراسة تعرضت لتاريخ البابوية ومصير البابوات منها كتاب تاريخ مدينة روما فى العصور الوسطى "A history of The City of Rome in The Middle Ages"، الجزء الثالث ويغطى الفترة من "800– 1002"، وقد استعانت الباحثة بالجزء الثالث على وجه التحديد لتغطية الفترة التى تشتمل على ما قبل عصور البابوية المظلمة وحتى عصر الإمبراطور أوتو الثالث، وعلى الرغم من أن موضوع الكتاب هو

[1] Baumgartner, McNamara: Behind locked doors "a history of the Papal elections", first edition, Palgrave Macmillan, New York, 2003.

تاريخ روما وحكامها وعلاقتها بالقوى المجاورة إلا أن تلك الأحداث كانت تشكل المحرك الأساسى لتدخل القوى السياسية فى انتخاب البابوات أوالإطاحة بهم لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية أو الخارجية لحكام إيطاليا، وهو ما سهل على الباحثة استخلاص وحصر حالات الإقالة لبابوات روما فى تلك الفترة العصيبة من العصور الوسطى [2].

بالإضافة لما سبق هناك كتاب آخر للمؤرخ هوراس مان Horace Mann عن حياة البابوات فى العصور الوسطى الباكرة The Lives of The Popes in The Early Middle Ages [3]، وقد استعانت الباحثة بالجزء الخامس والذى يركز على تنامى السلطة البابوية فى ظل الفوضى التى لاحقت إيطاليا والبابوية فى الفترة من 999م حتى عام 1048م ، وهى المرحلة التى أعقبت انتهاء فترة عصور البابوية المظلمة بعد وفاة البابا يوحنا الثانى عشر John XII (955- 964م) وتنامى الفوضى الإقطاعية للحكام والأرستقراطية الإيطالية حتى السنوات القليلة التى سبقت الإصلاح الجريجورى The Gregorian Reform فى عهد البابا جريجورى السابع السابع Gregory VII (1073-1085م).

مفهوم الإقالة

لقد كانت الإقالة أو العزل للبابوات ظاهرة استثنائية محدودة التكرار فى كنيسة روما فى العصور الوسطى، بدأت ملامحها فى الظهور منذ القرون الأولى لكنيسة روما على وجه التحديد وتراجعت فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى، وحدثت الإقالة نتيجة لبعض الانحرافات والتجاوزات الأخلاقية أو السياسية أو الدينية لبعض البابوات، ومن ثم توجب علينا ضبط المعنى لغةً واصطلاحاً بدقة حتى يمكننا تتبع حالات الإقالة والعزل لبعض البابوات وتحديد أسبابها وأنواعها وكيفيتها وما ترتب عليها من آثار انعكست فى وقتها على المنظومة البابوية.

مصطلح الإقالة يعنى بالإنجليزية "deposed"، أو "dismissal" ويقصد به الطرد والعزل من المنصب عنوة بدون إرادة صاحبه، وقد وردت الإقالة فى المعجم الوجيز بمعنى "أَقَالَ" فلاناً من عمله أى أعفاه ونحاه عنه، وفى القاموس المحيط فصل القاف باب اللام

---

[2] Ferdinand Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages "800 – 1002", vol. 3, trans. from German edition by Annie Hamilton, G. Bell & sons, London, 1903.

[3] Horace Mann: The Lives of The Popes in The Early Middle Ages "The Popes in The days of Feudal anarchy", vol. 5 "999 – 1048", Kegan Paul &co. Ltd., London, 1910.

"استقاله" طُلبَ إليه أن يُقيلَه، وفى معجم اللغة العربية المعاصرة "إقالة" مفرد بمعنى لجوء صاحب العمل إلى طرد الموظف بأسلوب قانونى، وفى معجم الرائد "إقالة" فصل صاحب منصب من منصبه؛ ومن ثم فالمقصود من مصطلح الإقالة فى مضمون البحث هو: "إجبار البابا مادياً أو معنوياً على ترك منصبه وعزله عن الكرسى البابوى ضد إرادته ورغبته الحرة وتعيين آخر يحل محله بمقتضى مجمع كنسى أو قرار إمبراطورى لأسباب قد تكون صحيحة أو خاطئة ". وغالبا ما كان يتحدد مصير البابا بعد إقالته بالسجن أو القتل، أو الإقامة الجبرية فى أحد الأديرة، أو النفى خارج الأراضى الإيطالية، لأسباب قد تكون سياسية أو أخلاقية أو دينية، كان ينقصها فى كثير من الأحيان السند القانونى، وبالتالى فإن مصطلح الإقالة سياسى وإدارى فى آن واحد، وهو أكثر دقة وشمولاً فى المعنى والاستخدام.

المحور الأول: إقالة البابوات منذ فجر الكنيسة فى القرن الثامن الميلادى

وعن كيفية اختيار البابوات فى العصور المسيحية الباكرة فلا توجد فى الإنجيل أية اشارة حول كيفية اختيار الأساقفة بعامة وأسقف روما بخاصة، أو المراسم التى يجب اتباعها عند اختيار البابا فيكفى أن يكون أسقفاً أو رجل دين حتى يكون ضمن المرشحين؛ ومنذ وفاة القديس بطرس حتى الاعتراف بالديانة المسيحية بمقتضى مرسوم ميلان كان يختار البابا من يخلفه قبيل وفاته، وفى أحيان أخرى كانت عمليه الاختيار تشوبها بعض المعجزات التى تدخل فى اطار الأساطير؛ حيث ذكر يوساب القيصرى كيف وقفت حمامة على رأس البابا فابيان Fabian (236– 250م) وعلى الرغم من أنه لم يكن ضمن المرشحين[4]؛ إلا أن اختيار حمامة له حينما وقفت على رأسه هو دون باقى الحشد، فاعتبر الحاضرين فى ذلك اشارة على اختيار الرب له، ولأن الديانة المسيحية كانت محظورة ومضطهدة فى كثير من الأحيان كان يتم اختيار أكثر من بابا فى وقت واحد، وفى بعض الأحيان كان كرسى أسقفية روما يظل فارغاً، ولكن بعد الاعتراف بالديانة المسيحية بدأت الأمور فى الانتظام خاصة بعد ما تم اتخاذ قرار فى مجمع نيقية الكنسى عام 325م بتعيين أسقف واحد فقط لكل مدينة وبدأ أسقف مدينة روما يأخذ لقب البابا وتتسع صلاحياته ونفوذه بسبب توسع الإمبراطور قسطنطين فى هباته وعطاياه لكنيسة

(4)Eusebius of Caesarea: Eusebius the Church History, A New Translation with Commentary by Paul L. Maier, Kregel publications, 1999, pp. 228- 229; Baumgartner, McNamara: op. cit., pp. 4- 5.

روما جعل من البابا مديراً لممتلكات وأراضى واسعة محيطة بكنيسة روما فيما عرف تاريخياً باسم "هبة قسطنطين" [5].

وفى سياق متصل سنجد أن ظاهرة الإقالة أو العزل فى عصر الإمبراطور جستنيان كانت موجودة قبل اندلاع الحرب مع القوط الشرقيين حينما قام القائد البيزنطى بلزاريوس بعزل البابا سيلفيريوس Silverius (536- 537م) لأنه كان موالياً للقوط الشرقيين فتم عزله ونفيه إلى جزيرة بالمارولا Palmarola – فى البحر التيرانى شرق الساحل الإيطالى- وعين مكانه البابا فيجيليوس Vigilius (537- 555م) حيث أكد المصدر المعاصر أن القائد البيزنطى بلزاريوس شك فى نوايا البابا سيلفيريوس؛ وأنه سيخونه أثناء حصار القوط لمدينة روما ليسلم المدينة إليهم فنفاه وعزله من منصبه وعين مكانه البابا فيجيليوس [6]، وبالتدقيق فيما سبق سنجد أن عزل البابا الكاثوليكى سيلفيريوس قد تم بأوامر قائد عسكرى بيزنطى أرثوذكسى، وعلى الرغم من أن عملية الإقالة أو العزل من المنصب البابوى لم يوجد فيها شبهة خلاف مذهبى أو عقائدى بسبب الاختلاف بين الأرثوذكسيةوالكاثوليكية، إلا أن الإقالة تمت لضرورة سياسية عسكرية مجردة بأوامر من القائد العسكرى بلزاريوس، مما يرجح أن الإمبراطور جستنيان لم يعبأ بالنظرية البطرسية ولا مكانة البابا فى روما وإلا ما تجرأ قائده بلزاريوس على اتخاذ هذا القرار، وعلى الجانب الآخر سنجد أن البابا سيلفيريوس حينما حاول مراسلة القوط الشرقيين أثناء حصار روما فإنه رأى المفاضلة والمقارنة بين حاكم بيزنطى أرثوذكسى متحضر وملك قوطى أريوسى بربرى، تصب فى كفة القوط الشرقيين لكونهم أخف وطأة وأهون سبيلا من حاكم أرثوذكسى متعجرف .

جدير بالذكر أن الإمبراطور البيزنطى كان حريصاً على أن يكون اختيار البابا فى روما بعد موافقته وقبوله ترشيح البابا الجديد، وإلا فإنه يتدخل بالقوة الجبرية لعزل البابا فى روما بدليل ماحدث عام 653 م حينما رفض البابا مارتين الأول Martin I (649- 655 م) انتظار مرسوم الإمبراطور قنسطانز الثانى Constans II (641- 668م) بالموافقة على تنصيبه، وشرع فى التحضير لمراسم تنصيبه؛ وحينما وصل ذلك إلى مسامع الإمبرطور

---

[5] Eusebius of Caesarea: op. cit., pp. 228- 229; Baumgartner, McNamara: op. cit., pp. 4-5.

[6] Evagrius Scholasticus: The Ecclesiastical History of Evagrius "History of The Church from AD 431 to AD 594, Edited and trans. by Edward Walford, Published by H.G. Bohn, London, 1854, pp. 211- 212; Baumgartner, McNamara: op. cit., p.10.

البيزنطى أرسل قوات عسكرية اقتادت البابا مارتين الأول عنوة إلى القسطنطينية لمحاكمته، وصدر ضده قرار بالإعدام ولكن تم تخفيف الحكم بأن يتم عزله من منصبه وجلده ونفيه؛ وقد ظل البابا مارتين الأول فى منفاه حتى موته فى الخامس عشر من سبتمبر 655م. وقد شكلت حادثة موت البابا مارتين صورة من صور الصراع بين روما وبيزنطة حول السمو البابوى لدرجة أن المؤرخ فرديناند جريجورفيوس وصف البابا مارتين الأول بأنه "شهيد السمو البابوى" ليتولى مكانه البابا يوجين الأول Eugene I (654– 657م) الذى خضع لتحكمات الإمبراطور البيزنطى بعد إقالة مارتين الأول والتنكيل به[7].

المحور الثانى: إقالة البابوات منذ العصر الكارولنجى حتى نهاية القرن التاسع الميلادى.

وفى حقيقة الأمر يمكننا القول إن تدخل السلطة الزمنية فى الانتخابات البابوية لم يكن حكراً على الأباطرة البيزنطيين، بل امتد الأمر إلى ملوك الفرنجة واللمبارديين حينما طلب البابا ستيفن الثانى Stephen II (752– 757م) دعم الملك بيبن القصير Pepin the Short (751– 768م) فى الانتخابات البابوية لمواجهة تدخل الملك اللمباردى آيستولف Aistulf (749– 756م) ومن بعده الملك ديسيدريوس Desiderius (756– 774م)، وكان ثمرة هذا التحالف هبة بيبن Donation of Pepin [8] التى أكدها خليفته شارلمان Charlemagne (748–814م) فى عام 774م ، كما تكرر مع شارلمان حينما أعاد البابا ليو الثالث Leo III (795– 816م) للجلوس على الكرسى البابوى بعد أن

---

[7] Theophanes: The Chronicle Of Theophanes, Trans. By Harry Turtledove, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1982, p.33; Ferdinand Gregorovius: op. cit., vol. 2 " 568- 800", pp. 147- 148.

[8] وفقاً لهبة قنسطنطين Donation of Constantine المزعومة فإن الامبراطور قنسطنطين أباح للبابوية أن تمتلك أراضى وممتلكات في وسط إيطاليا ، بحيث يكون لها حق التصرف في الدخل والأموال التي تأتي منها، بوصفها أراضى تابعة للقديس بطرس، وبمرور الوقت سارت بعض عائلات النبلاء داخل وخارج إيطاليا على حذو قنسطنطين، وتبرعت بالأراضي أو أن بعض العائلات انقرضت ولم تترك ورثة لأراضيها في إيطاليا بفعل الحروب أو الغزوات الجرمانية، وبالتالى آلت ممتلكاتهم للبابوية ، وقد ترتب علي ذلك أن تدفقت الأموال علي خزانة البابوية سواء من الضرائب أو أموال الإيجارات وقد انتشرت تلك الممتلكات في إيطاليا، وصقلية، وأنطاكيا، وآسيا الصغرى، وفي منطقة هيبو في شمال أفريقيا، وأرمينيا، بيد أن تلك الممتلكات مع بداية القرن السابع توقفت عن منح أموالها للبابوية في روما؛ حيث فضلت أن تمنحها لكنيسة القسطنطينية، ومع اتساع حركة الفتوح الإسلامية وسقوط صقلية وجنوب إيطاليا في يد المسلمين فقدت البابوية جزءاً كبيراً من دخلها، إلي أن استطاع النورمان أن يستعيدوا تلك الممتلكات من المسلمين، فحكموا جنوب إيطاليا وصقلية بوصفهم تابعين إقطاعيين للبابوية . لمزيد من التفاصيل انظر :
Robinson S.: Reform and the Church (1073 -1122), in N. Cam. Med. His , vol. 4, Cambridge University Press, Cambridge, pp. 288 – 289 .

أطاح به منافسوه وحاولوا قطع لسانه وسمل عينيه لكن شارلمان أعاده بالقوة [9]. وبتحليل ما سبق يتبين لنا أن الحقبة الكارولنجية برغم طابعها الثيوقراطى كانت تتدخل بشكل مباشر فى تحديد من له الحق فى اعتلاء الكرسى البابوى وترجيح كفته بحكم الحق الإلهى والوعد الإمبراطورى بحماية كرسى بطرس الرسول.

بعد اغتيال البابا يوحنا الثامن عام 882م بدأت البابوية تنحدر وينحدر معها الهيبة والعصمة المادية والمعنوية للبابا، وهو ما تجلى فى فضيحة مجمع الجثة Cadaver Synod يناير 897م [10] على يد البابا ستيفن السادسVI Stephen (896- 897م) فذلك الرجل الذى فجر فى الخصومة واجترأ على سلفه بمحكمة هزلية حاكم فيها جثة خصمه فاجترأ عليه الدهماء والعامة بتحريض من خصومه من أتباع البابا فورموسوس Formosus (891- 896م)، الذى أُنتهكت جثته وأنتهكت معها هيبة البابوية ، فتم إقالة البابا من منصبه وسجنه ثم قُتل فى محبسه خنقاً [11] وبالتدقيق فيما حدث يتبين لنا أن البابا ستيفن السادس حينما تم إقالته من منصبه، تم ذلك على يد رجال دين غاضبين من انتهاكات ستيفن؛ فاستغلوا حادثة مجمع الجثة وحرضوا الدهماء على قتل البابا فى محبسه؛ وبالتالى أصبحت الإقالة مقرونة بسفك الدماء والقتل، ولم يعد العزل من المنصب أو النفى كافياً على غرار ما فعله أباطرة بيزنطة من قبل.

---

[9] Theiner Augustin: Codex Diplomaticus Dominii Temporalis S. Sedis "756 -1334", Tome premier, Rome Imprimerie du Vatican, Rome, 1861, pp. 1-2; Einhard : The Life of Charlemagne , Tran. By Samuel Epes Turner, Harper brother, New York, 1880, pp 22 – 23, 25, 65 – 66.

[10] كان البابا ستيفن السادس رجلاً سيء السمعة أراد تصفية حسابات قديمة مع خصمه اللدود البابا السابق فورموسوس، فدعى لعقد مجمع كنسى فأخرج جثة البابا فورموسوس وقام بمحاكمتها فى مشهد عبثى، لينتهى المجمع الدينى بتجريد جثة البابا فورموسوس من ثيابها البابوية وقطع الأصابع الثلاثة لليد اليمنى للجثة والتى كان يمنح بها البابا البركة لرعاياه، كما تم إبطال قرارات ورسامات(تعيينات) البابا فورموسوس لرجال الدين فى المناصب الكنسية، وبعد ذلك تم دفن جثته فى مقبرة عادية ليتم حفرها مرة أخرى وربطها بالأثقال وإلقائها فى نهر التيبر، ليعثر صياد على جثة البابا الملقاه فى النهر وتم حملها إلى كنيسة القديس بطرس أمير كل الرسل، وفى خريف 897م قامت الدهماء بمهاجمة البابا ستيفن السادس وتم القبض عليه وألقى فى السجن حيث تم اغتياله وخنقه فى محبسه فيما بعد على يد أنصار البابا السابق فورموسوس. انظر:
Liutprand of Cremona: Works of Liutprand of Cremona, trans. & introduction by F. A. Wright, E. P. Dutton &CO., New York, 1930. "Antapodosis",pp. 52- 54; Ferdinand Gregorovius: op. cit., vol. 3, p. 229.

[11] Anastasius Bibliothecarius: Epistolae et privilegia Stephanus Papa, in Anastasius Bibliothecarius, Patrologiae latina, Jacques-Paul Migne, Tomus CXXIX (129), pp. 855- 856; Liutprand of Cremona: Works of Liutprand of Cremona "Antapodosis",pp. 53- 54; Ferdinand Gregorovius: op. cit., pp. 228 - 229.

لم يقدر للعنة مجمع الجثة أن تنتهى بموت البابا ستيفن السادس حيث دخلت روما فى حالة من الاضراب والفوضى بين مؤيدى ومعارضى البابا فورموسوس تكررت فيهم حالة العزل أو الإقالة من الكرسى البابوى مع البابا ليو الخامس Leo V (903– 904م) وعلى الرغم من أن فترة بابويته لم تتجاوز شهرين حيث تولى البابوية فى أواخر يوليو 903م وتم عزله فى سبتمبر 903م على يد البابا المغتصب كريستوفر Antipope Christopher (903– 904م)، وقد أوضح بلاتينا فى حوليته تعليقاً على هذا الانقلاب قائلاً: إنه بسبب أخطاء البابوات السابقين ظن كريستوفر أنه قادر على الاستخفاف بالكرسى البابوى، وإزاحة البابا ليو الخامس بعد أقل من أربعين يوماً على توليه منصبه، فكان ليو الخامس كمن سُرقت كرامته فهو"مثل من ربى ذئباً فالتهمه"، لكن العدالة الإلهية أذاقته من نفس الكأس بعد سبعة أشهر حينما تمت إقالته على يد البابا الجديد سرجيوس الثالث Sergius III (904– 911م) بدعم من ثيوفلاكت حاكم توسكالم Theophylact I of Tusculum (864– 924م) [12]، وظل كريستوفر فى الدير قيد الإقامة الجبرية مسجوناً على حد وصف بلاتينا الذى أظهر شماته وتشفياً حينما ذكر أن مثل هؤلاء البابوات حصلوا على مناصبهم بالرشوة والطمع وسعوا وراء العداوات والخلافات فيما بينهم كما يفعل الطغاة [13].

---

[12] تنسب أسرة ثيوفلاكت أو تيوفيلاتو Teofilatto إلى ثيوفلاكت الأول حاكم توسكاني Theophylact I of Tusculum (864- 924م) استطاعت أسرته أن تتحكم فى البابوية لما يزيد عن مائة عام كان ثيوفلاكت حاكما على توسكانى وهى مدينة صغيرة بالقرب من روما وأخذ تدريجياً يتدخل فى الأحداث فى روما بمساعدة ألبريك أف سبوليتو Alberic I of Spoleto (ت. 925م) حاكم دوقية سبوليتو ، لدرجة تدخله فى عزل البابا المغتصب كريستوفر Antipope Christopher (903- 904م) ثم اغتياله فى عام 904م ، حصل ثيوفلاكت على العديد من الألقاب الشرفية مثل سيناتور، حاكم روما ثم تدخل فى الانتخابات البابوية لترجيح انتخاب البابا سرجيوس الثالث Sergius III (904- 911م) وبمساعدة زوجته ثيودورا Theodora (870- 916م) وابنتيه ثيودورا وماروزيا Marozia (890- 937م) تمكن من السيطرة على الانتخابات البابوية حتى وفاته ، وخرج من تلك الأسرة عدد من البابوات مثل يوحنا الثانى عشر John XII (955-964م)، بندكت الثامن Benedict VIII (1012- 1024م)، يوحنا التاسع عشر John XIX (1024- 1032م)، بندكت التاسع Benedict IX (ت. 1056م) والبابا المغتصب بندكت العاشر Antipope Benedict X (1058- 1059م).

Liutprand of Cremona: Works of Liutprand of Cremona "Antapodosis", pp. 92–93; Auxilius und Vulgarius:Auxilii in Defensionem Sacrae Ordinationis Papae Formosi, in Auxilius und Vulgarius Quellen und Forschungen zur Geschichte des Papstthums im Anfange des zehnten Jahrhunderts, von Ernst Dümmler, Leipzig, 1866, p. 135; Ferdinand Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages, vol. 3, pp. 231,242– 244,271;George Williams: Papal Genealogy "The Families and Descendants of the Popes", Mcfarland & company, London , 1998, pp. 11 – 14.

[13] Auxilius und Vulgarius: op. cit., p. 135; Platina, Bartolomeo: The Lives of The Popes "from The Tim of our Saviour Jesus Christ to The Accession of Gregory VII",

المحور الثالث: إقالة البابوات فى عصور البابوية المظلمة [14] (903- 964م) "Saeculum obscurum" .

مع بداية القرن العاشر الميلادى بدأ إنهيار الموروث الدينى للسمو البابوى بعد أن دخلت البابوية فى عصورها المظلمة، وقد وصف بارثيليميو أف بلاتينا بابوات تلك الفترة بأنهم لم يتعلموا شيئاً أو يدرسوا شيئاً سوى إطفاء وتدنيس شرف أسلافهم من البابوات وإبطال أعمال ومراسيم بعضهم البعض، فكانوا جميعاً كالكلاب الجبناء الذين لا يستطيعون مهاجمة أعدائهم إلا بعد تقييدهم [15].

وفى سياق متصل سنجد أن البابوية وقعت بين شقى الرحى؛ فما بين الاغتيالات البابوية والإنحرافات الأخلاقية للبابوات فى العصور المظلمة تم اختطاف البابوية معنويا وسياسياً من قبل الأرستقراطية الإيطالية التى تعمدت استضعاف البابوات واختيار شخصيات لاترقى لأهمية وهيبة المنصب البابوى أمثال أسرة ثيوفلاكت أو أسرة كريسنتى Crescentii [16]؛ فارتضى أولئك البابوات أن يكونوا ألعوبة فى يد العائلات الأرستقراطية

---

trans. & edited by Benham B. D,Griffith Farran & CO., London, pp. 242 - 244; Ferdinand Gregorovius: op. cit., vol. 3, pp. 242 - 243.

[14] هو مصطلح لاتينى أطلق على حقبة زمنية مظلمة من تاريخ البابوية استمرت لما يقرب من ستين عاماً (904-964م) وهى الفترة التى عاصرت نهايات الأسرة الكارولنجية ؛ وهجمات المسلمين لشبه الجزيرة الإيطالية وكذلك تهديدات النورمان، وقد حدد غالبية المؤرخين أن عصور البابوية المظلمة بالفترة من (904- 964م) John (904- 911م) وحتى نهاية البابا يوحنا الثانى عشر Sergius IIIأى منذ تولى البابا سرجيوس الثالث (955- 964م) ، وهناك بعض المؤرخين الذين قالوا إنها امتدت حتى قدوم البابا جريجورى السابع بعد XII قيامه بالاصلاحات الكنسية الجريجورية الشهيرة . وهناك من ربط نهايتها بإعادة إحياء الإمبراطورية (962- 973م) . وللأسف فإن فترة العصور Otto Iالرومانية المقدسة على يد الإمبراطور أوتو الأول المظلمة للبابوية اقترنت بذكر سلسلة من الجرائم البابوية بما فيها القتل والفساد والانحلال الخلقى ، فى ظل عدم وجود إمبراطور قوى أو حاكم لديه القدرة على التصدى لتلك الانحرافات . انظر:

William Cave: Scriptorum Ecclesiasticorum historia literaria a Christo nato usque ad sæculum XIV, Musevm Britan, Coloniae Allobrogum Gabrielem de Abrielem de Tournes & Filios , M.D CC. XX. (1720) , p.491; John C. Dwyer: Church history, Paulist Press, New York, 1998, p. 155; Issac pandinjarekutt: Christianity Through The Centuries, St. Paul Press Training School, 2005 , p. 58.

[15] Auxilius und Vulgarius:op.cit., p. 72; Platina, Bartolomeo: op. cit., p. 239.

[16] أسرة كريسنتى أو كريسنزى Crescenzi وهى أسرة أرستقراطية عاشت فى روما فى بداية القرن العاشر الميلادى شاركت أسرة كريسنتى فى الأحداث بقوة مع أسرة ثيوفلاكت وكانوا على صلة قرابة وتحكما معاً فى انتخاب البابوات وتحديداً فى فترة نزاع البابا يوحنا الثانى عشر مع الإمبراطور أوتو الأول حينما تزوج جيوفانى كريسنتى من ثيودورا الثالثة ابنة اخت ماروزيا وينحدر من تلك الأسرة البابا يوحنا الثالث عشر وستيفانيا Stephania وثيودورا الرابعة وماروزيا الثانية ، وكانت أسرة كريسنتى هى العدو التقليدى لأباطرة الأسرة الأوتونية فى إيطاليا حيث تصدت الأسرة لتدخلات الإمبراطور أوتو الأول فى إيطاليا 961م وانتخبوا يوحنا الثالث عشر من أسرة كريسنتى وجاء من بعده مجموعة من البابوات كانوا ألعوبة أو دمى فى يد أسرة كريسنتى لدرجة أنهم فرضوا إتاوات سددتها الخزانة البابوية مقابل حماية روما والمقر الرسولى عسكرياً وبعد وفاة البابا سرجيوس الرابع قدموا مرشحاً باسم جريجورى ليكون البابا بدون موافقة الكارادلة ، واندلع الصراع بين أسرتى كريسنتى وثيوفلاكت وانتهى الأمربتعيين البابا بندكت الثامن بدعم كامل من الإمبراطور الألمانى هنرى الثانى الذى جاء إلى روما وتم تتويجه فيها عام 1014م ثم طرد أسرة كريسنتى خارج روما وأجبرهم على التحصن فى قلاعهم وظلوا يقدمون

المحلية فى إيطاليا والتى كان رجالها ونساؤها على استعداد للقتل والإغتصاب والسرقة لضمان إخضاع بابوات روما لنفوذهم ومصالحهم السياسية، كما حدث فى عزل البابا البابا يوحنا العاشر John X [17] (914–928م) وسجنه على يد ماروزيا وزوجها جويدو دوق توسكانى Guido, Duke of Tuscany (915– 929م) حيث كانت ماروزيا تمهد لاعتلاء ابنها غير الشرعى لتولى الكرسى البابوى[18] ؛ فأرسلت قوة مسلحة إلى قصر اللاتيران انقضت على البابا يوحنا العاشر ووضعوه فى السجن حيث مات بعدها بقليل، وقد أشار ليتوبراند أف كريمونا أن البابا قُتل خنقاً عن طريق كتم أنفاسه بوسادة وضعت على فمه حتى مات خنقاً، ونجحت ماروزيا لاحقاً فى تعيين ابنها يوحنا بابا تحت اسم يوحنا الحادى عشر John XI (931– 935م) ، وقد أظهر ليتوبراند أف كريمونا الشماتة فيما حل بالبابا يوحنا العاشر موضحاً أنه يستحق ما حدث له؛ لأنه كما اعتلى الكرسى البابوى دون وجه حق بمساعدة عشيقته ثيودورا Theodora (870– 916م) زوجة ثيوفلاكت حاكم توسكانى، فإن العدالة الإلهية جعلت عزله من الكرسى البابوى على يد ابنتها ماروزيا العاهرة التى لا تقل عن أمها سوءًا [19].

مجموعة من البابوات المغتصبين antipopes الضعفاء مثل البابا سيلفستر الثالث Sylvester III (1045م) الذى تولى البابوية لمدة شهرين فقط قبل الاطاحة به عام 1045م. لمزيد من التفاصيل انظر:

Platina, Bartolomeo: op. cit., pp. 267 – 268 , 271 – 272; George Williams: op. cit., pp. 15 – 17.

[17] ولد البابا يوحنا العاشر فى مدينة توسينيانو Tossignanno بإقليم رومانا Romagna شمال إيطاليا وقد اختلفت الروايات حول هوية والد البابا يوحنا العاشر من علاقة آثمة لدرجة أن بلاتينا فى مصدره المتأخر زمنياً عن حياة البابوات يؤكد أن والده هو البابا سرجيوس الثالث ، كما كرر ادعاءه بأن البابا يوحنا الحادى عشر هو أيضاً ابن البابا سرجيوس الثالث وماروزيا مما يرجح أنه اختلط عليه الأمر بين يوحنا العاشر والحادى عشر ربما لتشابه الأسماء ولقصر الفترة الزمنية الفاصلة بينهما . وكان يوحنا العاشر قد عين رئيس أساقفة رافنا Ravenna عام 905م وتم تنصيبه على يد البابا سرجيوس الثالث بنفسه . انظر :

Platina, Bartolomeo: op. cit., pp. 245- 246, 248.

[18] المقصود هو البابا يوحنا الحادى عشر John XI الذى كان فى الحادى والعشرين من عمره حينما تولى البابوية وقد أكد ليتبراند أف كريمونا أنه جاء من علاقة غير شرعية مع ماروزيا والبابا سرجيوس الثالث ، وهو ما أيده بلاتينا فى حوليته عن البابوات وأضاف بأن ميلاده كان نذير شؤم حيث ولد حينما تدفقت نافورة بالدماء فى جنوة وبعدها توالت النكبات على أوروبا حينما جاء الأغالبة من أفريقيا ودخلوا إيطاليا ودمروها وشغل الكرسى البابوى لمدة أربع سنوات وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً. أنظر :

Platina, Bartolomeo: op. cit., pp. 248- 249; Liutprand of Cremona: Antapodosis, p. 132; Jo Ann Mcnamara and Suzanne Wemple: The Power of Women through the Family in Medieval Europe 500-1100 , vol. 1 , Feminist Studies , Women's History, (Winter – Spring), Feminist Inc. , 1973, p. 136.

[19] Loc. Cit.; Platina, Bartolomeo: op. cit., pp. 246- 247; Jerry L. Walls: The Problem of Bad Popes" The Argument from Conspicuous Corruption", in Perichoresis, vol. 18, Houston Baptist University, 2020, p. 89.

وبتحليل ما سبق يتبين أن الأسرات الأرستقراطية فى إيطاليا على الرغم من أنهم إيطاليون بالمولد ويختارون بابوات من بنى جلدتهم وأبنائهم وأقاربهم، إلا أن وحدة الدم واشتراكهم فى وطن واحد لم يمنعهم من ضرب السمو البابوى فى مقتل، ربما لأن البابا يوحنا العاشر لا ينتمى لأسرة ارستقراطية تكون بمثابة عصبية أو عزوة تحميه فتنازل بإرادته الحرة عن كبريائه ليضمن استمراره على كرسى البابوية وتمادى فى فضائحه الأخلاقية مع ثيودورا؛ ففقد بذلك ولاء عامة المسيحيين والمؤمنين المرتبطين روحياً بالبابوية –ولا شك أنها ورقة لا يمكن اغفالها– لكن بابوات تلك الفترة المظلمة استبدلوا دعم المؤمنين بعاهرات الطبقة الأرستقراطية فكان ذلك بئس للبابوات بدلا.

المحورالرابع: إقالة البابوات منذ عهد الإمبراطورية الأوتونية Ottonian dynasty 962م حتى عام 1059م.

لم يمض زمن طويل حتى ظهر رد فعل معادٍ لفساد الأرستقراطية الإيطالية متمثلاً فى الإمبراطور الألمانى أوتو الأول Otto I (962– 973م) الذى تدخل لعزل البابا يوحنا الثانى عشر John XII [20]، الذى عرف بأنه كان أكثر البابوات انحلالاً وفساداً وصفته حولية سالرنو بأنه مراهق ارستقراطى مدمن على الرذائل غارق فى الملذات، وعلى الرغم من أن الإمبراطور أوتو سانده فى حروبه ضد برنجار الثانى ملك إيطاليا Berengar II of Italy (950– 961م) الذى قام بالتوسع فى إيطاليا على حساب الأراضى البابوية، إلا أن البابا يوحنا الثانى عشر لم يحفظ الجميل وانقلب على الإمبراطور أوتو؛ فلجأ الإمبراطور أوتو بمساعدة أعداء البابا من رجال الدين لإقالة البابا يوحنا الثانى عشر من منصبه فى مجمع روما synod of Rome فى عام 963م ووجهوا له اتهامات دينية وأخلاقية أطاحت به من فوق الكرسى البابوى[21].

---

[20] ولد البابا يوحنا الثانى عشر فى فيا لاتا Via Lata – وسط روما – عام 937م، وكان اسمه بالمولد أكتافيانوس Octavianus ينتمى لأسرة من أقوى نبلاء توسكالم التى سيطرت على شئون البابوي وإدارتها فوالده هو ألبريك الثانى Alberic II of Spoleto (912-954م) حاكم روما وجدته لوالده ماروزيا Marozia وأخوه غير الشقيق هو البابا يوحنا الحادى عشر John XI (931- 935م) وبهذا يكون يوحنا الحادى عشر هو عم يوحنا الثانى ،عشر انظر:

Platina, Bartolomeo: op. cit., p. 252; Liudprand of Cremona: "Antapodosis", pp. 92 – 93.

[21] Anonymous: Chronicon Salernitanum , *A critical edition with Studies on Literary and Historical Sources and on Language*, a cura di U. Westerbergh, Stockholm, 1956, p. 166; Thietmar of Merseburg: The Chronicon of Thietmar of Merseburg "Ottonian Germany", trans. & annotated by David A. Warner, Manchester University Press, Manchester, New York, 2001, pp. 100-101; Liutprand of Cremona "Chronicle of Otto"s Reign", pp. 221, 226.

والمتأمل فيما سبق سيدرك الفرق الشاسع بين تدخل الأرستقراطية الإيطالية المخضب بالدماء والقتل، وبين تدخل الإمبراطور الألمانى لإقالة ومحاكمة البابا يوحنا الثانى عشر فى مجمع دينى على يد رجال دين إيطاليين؛ وهو ما يعتبر نهج سياسى لإقالة البابا، وبغض النظر عن مدى شرعية هذا الإجراء إلا أنه كان أكثر تحضراً وإنسانية مما ارتكبته الأرستقراطية الإيطالية من اغتيالات وإراقة للدماء.

لقد شكل مجمع روما الكنسى نوعاً من الانقلاب الدينى والسياسى على البابا يوحنا الثانى عشر ففى الوقت الذى تم إقالة البابا من منصبه لم يعترف البابا يوحنا الثانى عشر بهذا الإجراء ورفض أن يرد على الاتهامات الموجهة وتمسك بمنصبه مهدداً بالحرمان إن هم أقدموا على إقالته وانتخاب بابا آخر غيره ، لكن الإمبراطور ورجال الدين لم يأبهوا بذلك وأطاحوا به وقاموا بإنتخاب البابا ليو الثامن Leo VIII (964– 965م) الذى ظهر على الساحة كبابا معارض للبابا يوحنا الثانى عشر، وقد أكد ليتوبراند أف كريمونا أنه أقسم يمين الولاء للإمبراطور أوتو وخر عند قدميه فعلاً لا مجازاً راجياً منه أن يمنح ثقته للرومان ويعفو عن الرهائن فاستجاب له الإمبراطور فكان البابا ليو كالحمل الذى وقع فى غرام الذئاب [22].

وفى مشهد عبثى تم إقالة البابا وعزله سياسياً ودعائياً عن طريق إعلان جرائمه الأخلاقية وفضائحه الجنسية فى مجمع روما الكنسى عام 963م، وقد اجتمع حشد غفير من الأساقفة والكاردينالات، وحضر شهود يثبتون التهم الكنسية والأخلاقية على البابا يوحنا الثانى عشر؛ بأن اتهام البابا كان مجرد سرد شفوى لرجال دين قد يكونون على عداوة مع البابا أو طامعين فى مكاسب شخصية أو مناصب كنسية فبالغوا أو تجنوا، وظهرت إشكالية من له سلطة محاسبة الآخر؛ فلا يحق لأوتو أن يحاكم البابا ولا يحق لرجال الدين عزل البابا لأن القاعدة العامة "أن البابا يُحاكِم ولا يُحاكَم" ، فتكون محاكمة البابا فعلاً مستحدثاً وبدعة لم يأت بها أى ملك أو إمبراطور كارولنجى من قبل.

---

[22] Liutprand of Cremona "Chronicle of Otto"s Reign", pp. 223, 2260, 229 – 230; Joannes Papa XII Anno Domini DCCCCLXIII (963) , in Patrologiae latina, Jacques-Paul Migne, Tomus CXXXIII (133), 1853, pp. 1013- 1014, 1037; Attonis Vercellensis Episcopi: Opera Omnia Accedunt Leonis VIII Antipapa Epistolae et Constitutiones , in Patrologiae latina , Jacques-Paul Migne , Tomus CXXXIV (134), 1853. p.989.

كان رد فعل البابا يوحنا الثانى عشر قوياً فعمد إلى استخدام ثروات البابوية كرشوة لمؤيديه لدرجة أن المصدر المعاصر أوضح بأنه وعدهم بكل ذهب القديس بطرس كمكافأة لمن يقتل الإمبراطور أوتو والبابا ليو الثامن، وعاد يوحنا الثانى عشر إلى روما بعد أن ظل مبعداً عنها لما يقرب من شهرين، وعقد مجمعاً دينياً للرد على مجمع روما الذى دعى إليه الإمبراطور أوتو، أصدر فيه قرار الحرمان ضد البابا ليو الثامن ومن انتخبه من كرادلة ليكون بديلاً له على الكرسى البابوى، [23]. مما يعنى أن يوحنا الثانى عشر رفض قرار الإقالة وسعى لإثبات سلطته ونفوذه بالتهديد والوعيد من خلال العقوبات التى وقعها على رجال الدين المعارضين له أو بالرشوة والذهب لشراء مؤيدين.

بالإضافة لما سبق هناك إشكالية أثارتها إحدى الدراسات الحديثة؛ حينما أوضحت ان مسألة انتخاب ليو الثامن بينما كان يوحنا الثانى عشر حياً يرزق قد تم بمقتضى قوة الردع لأوتو الأول، لكن البابا الجديد ليو الثامن الذى كان له بعض المؤيدين انهار بعد رحيل أوتو عن إيطاليا، حينما عاد يوحنا الثانى عشر وأطلق العنان لانتقامه من معارضيه بعد عودته إلى روما التى تم إبعاده عنها لشهرين تقريباً ، مما يدل على أنه كان يدرك قوة موقفه وأنه لا يوجد على وجه الأرض من يملك محاكمة البابا إلا الرب فقط ، فأصدر مجموعة من القرارات لمعاقبة أعدائه لدرجة أنه أمر بقطع لسان أحد الكاردينالات وجدع أنفه وقطع أصبعيه، كما أمر بجلد بعض رجال الدين، بيد أن القدر كان يخبئ ليوحنا الثانى عشر نهاية درامية حينما أقام علاقة آثمة مع إمرأة متزوجة، وإذ بزوجها المخدوع يقتحم غرفة النوم ليهشم رأس البابا، وعلى الرغم من محاولات إسعافه إلا أنه لقى حتفه بعد أن ظل يعانى من إصابته البالغة لمدة أسبوع تقريباً على قول ليتوبراند أف كريمونا، وبرغم وفاة البابا يوحنا الثانى عشر إلا أن بعض ذوى النفوذ من الأرستقراطيين الإيطاليين لم يقوموا بانتخاب ليو الثامن مرة أخرى هرباً من دائرة النفوذ الألمانية، فقاموا بانتخاب بابا آخر وهو بندكت الخامس **Benedict** V (964م) الذى لم يعتل كرسى البابوية سوى لشهر واحد فقط بينما هرب ليو الثامن ليستنجد بالإمبراطور أوتو الذى أحضر البابا المنتخب بندكت ووبخه على ترشيح نفسه؛ مما دفع بندكت للجلوس عند قدمى البابا ليو الثامن والإمبراطور أوتو معترفاً بخطئه واغتصابه للبابوية؛ فتم معاقبته بتجريده من منصبه مع

[23] Liutprand of Cremona "Chronicle of Otto"s Reign", pp.230- 231; Ferdinand Gregorovius: op. cit, vol. 3, pp.350-351.

احتفاظه بمنصب شماس على أن يتم نفيه من روما [24]. وهكذا فى ذروة الشد والجذب بين الإيطاليين والإمبراطور الألمانى يتبين لنا أن أن إقالة بندكت الخامس هى ثانى إقالة لبابا منتخب فى أقل من شهرين فى محاكمة كان على رأسها بابا يحتمى بعباءة الإمبراطور، بينما احتمى الأخر بالمعارضة الإيطالية التى تهاوت أمام النفوذ الألمانى.

لقد أصبح الحزبان المتصارعان على الحكم فى إيطاليا يدركان أن البابا يجب أن يكون دمية لاتتحرك منفردة دون توجيه فأصبح الكرسى البابوى هو مفتاح الحكم فى إيطاليا؛ ولعل ما تعرض له البابا بندكت السادس Benedict VI (973– 974م) هو أكبر دليل على ذلك ، لأن بندكت كان مواليا للحزب الأوتونى الألمانى وحينما تم اختياره كان من المفترض أن يأتى مرسوم تنصيبه، لكن الإمبراطور أوتو الأول مات وجاء من بعده أوتو الثانى Otto II (973– 983م) الذى انشغل فى الصراعات الداخلية فى ألمانيا مما أتاح للأرستقراطية الإيطالية أن تقوم بعزل بندكت السادس وسجنه فى قلعة سانت أنجلو Sant'Angelo – على الضفة اليمنى لنهر التيبر – وتعيين البابا المغتصب بونيفاس السابع Boniface VII (974– 985م)، وحينما علم بذلك الإمبراطور أوتو الثانى أرسل مبعوثاً إمبراطورياً للتحقيق فى الأمر؛ لكن البابا المغتصب بونيفاس السابع وجه ضربة استباقية لمنافسه فقام بتحريض أسقف يدعى ستيفن Stephen على قتل البابا بندكت السادس خنقاً فى محبسه وبناء وقد وصفه بلاتينا أنه اعتلى كرسى البابوية بأساليب دنيئة وملتوية ، وحينما خاف على نفسه من عقاب المبعوث الإمبراطورى فسرق خزانة البابوية وهرب إلى القسطنطينية ليحتمى بالإمبراطور البيزنطى Basil II (976– 1025م)؛ حيث كانت سياسة بيزنطة آنذاك استرداد مناطق نفوذها فى إيطاليا بمساعدة الأرستقراطية الإيطالية، ونتيجة لتلك الأحداث المتلاحقة قام المبعوث الإمبراطورى بإنتخاب بابا جديد تحت اسم بندكت السابع Benedict VII (974– 983م) [25].

إن المدقق فى الأحداث السابقة يستشعر حالة من الفوضى والارتباك فى المشهد البابوى لأن اقتران إقالة البابوات بالاغتيال السياسى ترتب عليه وضع قاعدة ذهبية فى صراع الأرستقراطية الإيطالية مع الحزب الإمبراطورى الألمانى، وهى أن الإقالة وحدها لا تكفى لحسم الأمور وفرض سياسة الأمر الواقع؛ فأصبح القتل والاغتيال هو البيدق الأخير

---

[24] Liutprand of Cremona "Chronicle of Otto"s Reign", pp. 231 – 232; Baumgartner Mcnamara: op. cit., p. 16.

[25] Platina, Bartolomeo: op. cit., pp. 256 – 257; Ferdinand Gregorovius: op. cit., vol. 3, pp. 377 – 378; 385.

لإنهاء لعبة الصراع بين الحزبين الإيطالى والألمانى وهى الوسيلة الناجعة فى التخلص من التوغل الأجنبى والنفوذ الألمانى بضمان الكرسى البابوى، وعلى الرغم من نظريات السمو البابوى وتعالى البابوية على كنائس الشرق والغرب، إلا أن الحكام الإيطاليين أنفسهم كانوا أقل حكام العالم المسيحى اقتناعاً بهذا السمو، وأكثرهم جرأة على الدم والعصمة البابوية لدرجة تدفعنا للقول إن كنيسة روما لو كانت مجرد أسقفية صغيرة لم تكن لتعانى كل هذا الجحود والتنكيل برجالها، ولذلك كانت آليات الإغتيال والإقالة وتعيين البابوات المغتصبين هى أقرب الحلول للحكام الإيطاليين؛ وعلى الجانب الآخر اكتفى أباطرة ألمانيا بالإقالة والعزل فقط دون إراقة الدماء، وكان الفيصل فى اتخاذ هذا القرار للأباطرة إثبات حسن نواياهم تجاه الإيطاليين للتقرب منهم حتى يتقبلوا فكرة خضوعهم لحكام أجانب.

بيد أن وضع بونيفاس السابع كمغتصب للكرسى البابوى لم ينته بهروبه إلى القسطنطينية، إذ عاد سريعاً لمواجهة البابا بندكت السابع الذى اختار لنفسه اسم بندكت السابع لتأكيد انتمائه للبابا السابق –بندكت السادس– وأنه يسير على خطاه ويستمد بقاء بابويته من ولائه للإمبراطور الألمانى أوتو الثانى؛ وهو ما دفع المعارضة الإيطالية لاستدعاء بونيفاس، وهو ما دفع الإمبراطور أوتو الثانى للزحف إلى إيطاليا فى نوفمبر 880م بعد أن هدأت الجبهة الداخلية فى ألمانيا – التى لم يقدر له أن يراها بعد ذلك – وقد اصطحب عائلته معه وعلى رأسهم زوجته ثيوفانو Theophanu (955– 991م) سليلة البيت البيزنطى وتوجهوا جميعاً إلى روما وحاصروها حتى استسلمت وأعاد البابا بندكت السابع لمكانته وتصدى لأسرة كريسنتى ومؤامراتها ضد البابوية؛ لكن البابا بندكت السابع لم يستمتع بنصره طويلاً إذا سرعان ما توفى فى عام 983م وقام الإمبراطور أوتو الثانى بتأمين الكرسى البابوى لمستشاره الإمبراطورى الذى أخذ اسم البابا يوحنا الرابع عشر John XIV (983– 984م) [26].

كان اختيار يوحنا الرابع عشر قد تم بأوامر أوتو الثانى دون انتخابات حقيقية بين رجال الدين فى روما رغماً عن أنف المعارضة من الأرستقراطية الإيطالية، لكن القدر كان يخبئ ليوحنا الرابع عشر نهاية مأساوية حينما استغلت أسرة كريسنتى وفاة الإمبراطور أوتو الثانى 983م ليفقد البابا يوحنا الرابع عشر الدعم فى مواجهة المعارضة خاصة أن الملك الألمانى الجديد أوتو الثالث Otto III (983– 1002م) كان فى الثالثة من عمره وسرعان

[26] Thietmar of Merseburg: op. cit., p. 135; Ferdinand Gregorovius: op. cit., vol. 3, pp. 391, 393.

ما توجهت أمه ثيوفانو وابنها الصغير إلى ألمانيا حتى تلم شتات الأمور وتركت إيطاليا والبابوية وراء ظهرها لتنفذ حق ابنها فى العرش الألمانى مما شجع أسرة كريسنتى والبابا المغتصب بونيفاس السابع على إقالة البابا يوحنا الرابع عشر وسجنه فى قلعة سان أنجلو واغتياله بعدها بأربعة أشهر تقريباً؛ وهناك من رأى أنه مات مسموماً بينما يرى بلاتينا أنه تم تجويعه وحرمانه من الطعام وضروريات الحياة حتى انهار جسده وفقد عقله ومات؛ ليتبين لنا أن البابا المغتصب بونيفاس السابع بعد أن ارتمى فى أحضان أسرة كريسنتى الإيطالية تمكن من قتل اثنين من البابوات فى قلعة سان أنجلو، وسرق خزانة البابوية وهرب بها إلى القسطنطينية وباع كثيراً من ممتلكات بطرس الرسول واستخدم الأموال فى الرشوة والفساد [27].

لقد كانت سياسة الأسرة الأوتونية فى ألمانيا تتركز فى جوهرها على التحكم فى انتخاب البابوات الموالين لها سواء من مواطنيها الألمان أو الإيطاليين المعارضين للأرستقراطية الإيطالية ممن انقلبوا على بنى جلدتهم على وجه التحديد، وهى ورقة الضغط التى كانت يستغلها أباطرة ألمانيا فى إدارة الأمور عن بعد، وقد كان التجلى الأكبر لهذه السياسة حينما قام أوتو الثالث بتعيين ابن عمه برونو كارينثيا Bruno of Carinthia, فى منصب البابا حيث عرف باسم جريجورى الخامس Gregory V (996– 999م)، وكان أوتو الثالث فى إيطاليا ليتم تنصيبه إمبراطورا ، وبمجرد عودته إلى ألمانيا انقلب كريسنتوس الثانى Crescentius II (ت. 998م) –أحد نبلاء روما من أسرة كريسنتى– على البابا جريجورى الخامس وقام بإقالته وعيّن مكانه البابا يوحنا السادس عشر John XVI (997– 998م) كبابا مغتصب، مما أجبر الإمبراطور أوتو الثالث على العودة إلى روما وتم إلقاء القبض على يوحنا السادس عشر وتمت معاقبته بقطع أنفه وأذنيه ولسانه وسمل عينيه ثم أجلسوه على حمار ووجهه للخلف وتم نفيه بعد ذلك إلى دير فولدا فى ألمانيا حيث مات بعد ذلك عام 1001م، ثم تحرك أوتو الثالث للقضاء على عدوه كريسنتوس الثانى وألقى القبض عليه وأعدمه شنقاً وعلق جثته حتى يكون عبرة للأمراء الإيطاليين المعارضين له [28].

---

[27] Platina, Bartolomeo: op. cit., pp. 259 – 260; Ferdinand Gregorovius: op. cit., vol. 3, pp. 397 – 398.

[28] Arnulf Of Milan: The Book Of Recent Deeds, Trans. by W.L. North, from the edition Of Claudia Zey (MGH Scriptors Rerum Germanicarum

ظلت الأرستقراطية الإيطالية والحزب المؤيد للإمبراطور الألمانى فى مد وجزر يسعى كلاهما إلى الاحتماء بعباءة بطرس الرسول، وبين البطش الألمانى والمراوغة الإيطالية كان الكرسى البابوى هو المُرجح لمن له اليد الطولى، بيد أن حالة الفوضى تجددت مرة أخرى فى عهد البابا بيندكت التاسع Benedict IX (ت. 1056م) [29] ؛ حيث يعد هذا الرجل حالة استثنائية وسط البابوات فى العصور الوسطى؛ فهو البابا الوحيد الذى تمت إقالته ثلاث مرات بعد ثلاث فترات مختلفة لتوليه الكرسى البابوي ، وكانت إقالته بعد الفترة الأولى التى استمرت من عام 1032 إلى عام 1044م ، والمرة الثانية فى عام 1045م ، والمرة الثالثة فى عام 1047 حتى عام 1048م

كانت الفترة الأولى من بابوية البابا بندكت التاسع قد امتدت للفترة من عام 1032 إلى عام 1044م وقد وصف أحد المؤرخين اعتلائه للكرسى البابوى بأنه نهاية لحقبة البابوات من بيت توسكالم حيث قضى على ما تبقى من احترام لهذه الأسرة وجعل الإيطاليين أنفسهم يرفضون فضائحه، فهو أول بابا يتم اتهامه بالشذوذ الجنسى ، وقد تحدث البابا فيكتور الثالث Victor III (1086–1087م) عن فضائح بندكت التاسع متهماً إياه بجرائم القتل والاغتصاب والسدومية، وأن والده اشترى له كرسى البابوية وهو فى الثانية عشر من عمره. كما وصفه البعض بأنه شيطان من الجحيم تجسد فى هيئة رجل دين، وقد دخل بندكت التاسع فى صدام مع بعض المعارضين له ممن استغلوا سوء سمعته فأثاروا العامة ضده وجرت محاولة لقتله فى عام 1036م وتم طرده من روما لكن الإمبراطور الألمانى كونراد الثانى Conrad II (1027– 1039م) أعاده إلى منصبه مرة أخرى عام 1037م ومنذ ذلك الوقت انغمس البابا بندكت التاسع فى مستنقع من الفساد والقتل والانتقام من معارضيه فأطاحوا به من كرسى البابوية وطردوه وفى عام 1045م عينوا مكانه البابا سيلفستر الثالث Sylvester III (ت. 1063م) والذى تم اعتباره بابا

---

67),Hannover, 1994, the first book, chap. 11; Baumgartner Mcnamara: op. cit., p. 17 .

[29] سليل أسرة ثيوفلاكت الإيطالية ولد فى مدينة فراسكاتى Frascati ، والده هو ألبريك الثالث أف توسكالم الذى دفع المال لتأمين اختيار ابنه فى الانتخابات البابوية، لأنه كان فى الثانية عشر من عمره حينما تم انتخابه وهناك من يرى أنه كان فى العشرين من عمره، وعلى أية حال يعتبر سنه صغيرا بالنسبة لطبيعة منصبه، لكن حداثة عمره تعد مؤشراً أن أسرة ثيوفلاكت أف توسكالم لديها قناعة بأن الكرسى البابوى أصبح إرثاً لا ينبغى أن يخرج من الأسرة، ويعتبر تولى بندكت التاسع للبابوية حالة فريدة ونادرة من البابوات حيث تولى المنصب البابوى لثلاث مرات منفصلة .

Horace Mann: The Lives of The Popes in The Early Middle Ages "The Popes in The days of Feudal anarchy", vol. 5 "999 – 1048", Kegan Paul &co. Ltd., London, 1910, pp. 239 – 241.

مغتصباً antipope لمدة شهرين فقط ، لكن بندكت التاسع عاد مرة أخرى بعد أن قدمت له أسرته دعماً عسكرياً تمكن من دحر البابا المغتصب سيلفستر الثالث ومؤيديه [30] .

بعد عودة بندكت التاسع لمنصبه كان من المنتظر أن يتعظ ويعالج نقاط ضعفه لكن المفاجأة أنه اتخذ قراراً ببيع كرسى البابوية لرغبته فى الزواج من ابنة عمه، وقد باع الكرسى البابوى لعرابه يوحنا جراتيان John Gratian الذى عرف باسم البابا جريجورى السادس Gregory VI (1045– 1046م) وهو ما اتفقت عليه المصادر المعاصرة وخاصة بطرس داميان حينما أكد حدوث عملية البيع من البابا بيندكت التاسع لصالح جريجورى السادس؛ وعلى الرغم من أن جريجورى كان لديه دوافع نبيلة ورغبة فى الإصلاح الكنسى لمعالجة الفضائح التى أساءت لسمعة البابوية، إلا أن الحزب المعارض لبابا السابق بندكت التاسع لم يرضه ما حدث وقرر الدفع بالبابا المغتصب سيلفستر الثالث ليعود إلى المشهد مرة أخرى، فى الوقت الذى ندم بندكت التاسع على قراره بعد أن أصبح مثار سخرية وإهانة من حوله، فتراجع عن بيع الكرسى البابوى فى الوقت الذى مازال جريجورى السادس وسيلفستر الثالث يتنازعان، كما عانت خزانة البابوية من الاستنزاف، وعانى رجال الكنيسة من غياب الانضباط وتدنى الأخلاق والمفاسد؛ ونتيجة لما سبق توجه الجميع إلى الإمبراطور الألمانى هنرى الثالث Henry III (1046–1056م) لترجيح كفة أحد الطرفين؛ وبالفعل تم عقد مجمع سوترى الكنسى Synod of Sutri عام 1046م [31]

كانت دعوة الإمبراطور الألمانى هنرى السادس لعقد مجمع سوترى فى 20 ديسمبر 1046م مدفوعة بعدم ارتياحه لشراء جريجورى السادس للكرسى البابوى؛ لكونها جريمة سيمونية مكتملة الأركان فلم يتردد من الإشارة لذلك فى خطبته أمام الأساقفة الحاضرين فى

---

[30] Platina, Bartolomeo: op. cit., pp 270- 271; Victoris III Romani Pontificis: Victoris III Papa "Concio Habita in synodo Beneventana De damnatione Guiberti de recentibus schismaticis vitandis Concilii canones BARON Annal ad an 1087 tom XI, Liber Tertius Qui est de miraculis alibi gestis, in Patrologia *Latina*, tomus CXLIX (149), Bibliothecae Cleri Universae, 1853, p. 1003; Regesta Pontificum Romanorum ab Condita Ecclesia ad annum post Christum natum MCXCVIII," Silvester III antipapa", ed. Philippus Jaffe, tomus primus, Lipsiae Veit et comp., 1885, pp. 523 – 524; Horace Mann: op. cit., pp. 244, 246, 248 – 249.

[31] S. Petri Damiani: Opusculum Decimum Octavum Contra Intemperantes Clericos Contextum ex tribus aliis beati Damiani de eo argumento dissertationibus , tomus secundus, in Patrologia *Latina*, tomus Patrologia *Latina*, tomus CXLV(145), S. Petri Damiani S.R.E Cardinalis Episcopi Ostiensis, Ordimis S. Benedicti, E Congregatione Fontis Avellanae, 1853, p. 441; Gregorius VI 1045 – 1046, in Regesta Pontificum Romanorum ab Condita Ecclesia ad annum post Christum natum MCXCVIII, pp. 524 – 525; Horace Mann: op. cit., vol. 5, pp. 252, 254.

مجمع سوترى الكنسى، وبالنسبة للبابا المغتصب سيلفستر الثالث فقد حكم عليه بالعزل من أى وظيفة كنسية وأن يتم نفيه مدى الحياة فى أحد الأديرة ؛ بينما تم تفنيد إدعاء بندكت التاسع حينما قال بأنه استقال من منصبه ويريد العودة، لكن بفحص ظروف انتخاب البابا جريجورى السادس تم حسم الأمور وأثبات أن بندكت التاسع تلقى الأموال مقابل بيع منصب البابا؛ وبالنسبة لجريجورى السادس فقد اعترف بأنه دفع الأموال وأنه كان يحتفظ ببعض الأموال من الكنيسة وجد أنه لا ضرر من شراء حرية الكنيسة وإصلاحها بدفع المال حتى يعيد حرية البابوية التى سلبها النبلاء الشياطين، وأنه يعلم جيداً أن الخير لا يأتى بالشر لكنه كان يريد الخير للكنيسة؛ وعلى الرغم من تعاطف الحاضرين مع جريجورى السادس واقتناعهم بنبل موقفه، إلا أن قرار مجمع سوترى الكنسى بإقالة بندكت التاسع وسيلفستر الثالث ورفض عودتهم للكرسى البابوى، بينما طالب الأساقفة جريجورى السادس أن يستقيل طوعاً، وبذلك تم التخلص من المنافسين الثلاثة وتعيين بابا جديد وهو الألمانى كليمنت الثانى Clement II (1046– 1047م)، وكتشريف للإمبراطور هنرى الثالث تم تنصيبه حامياً للبابوية على أن يمتد هذا لورثته من بعده [32].

وبتحليل ما سبق يتبين لنا حرص الإمبراطور الألمانى على اختيار بابا من أصول ألمانية حتى يتخص من نفوذ الأسرات الأرستقراطية الحاكمة فى إيطاليا، وبذلك تم استبدال النفوذ الإيطالى بالألمانى عن طريق إقالة البابوات الإيطاليين واستبدالهم بآخرين موالين للحزب الإمبراطورى، وهى السياسة التى وضع بذورها من قبل الإمبراطور أوتو الأول، رغم تعاطف الإمبراطور ورجال الكنيسة مع البابا جريجورى السادس صاحب الميول الإصلاحية لمفاسد البابوية وهو المسار الذى سار على نهجه وتبناه فيما بعد البابا جريجورى السابع.

وفى سياق متصل لم يقطع بندكت التاسع الأمل فى العودة مرة أخرى إلى الساحة البابوية؛ حيث استغل بندكت التاسع موت البابا كليمنت الثانى وأعلن عودته للبابوية مرة ثالثة، واستولى على قصر اللاتيران بمساعدة حليفه بونيفاس الثالث الحاكم العسكرى لتوسكانى Boniface III, Margrave of Tuscany (985– 1052م)، لكن القوات الألمانية التى كانت فى المدينة قامت بإقالته وعزله من منصبه، وسارعوا بانتخاب

---

[32] Arnulf Of Milan: op. cit., book III, chap. 2; Victoris III Romani Pontificis: op. cit., in Patrologia *Latina*, tomus CXLIX (149), pp. 1004– 1005; Baumgartner, McNamara: op. cit., pp. 17 – 18; Horace Mann: op. cit., vol. 5, pp. 262, 264.

رجل ألمانى آخر وهو البابا داماسوس الثانى Damasus II (ت.1048م)، الذى كان أول قراراته إصدار قرار الحرمان ضد بندكت التاسع بتهمة السيمونية، لكن البابا داماسوس مات فجأة قبل مرور شهر واحد على توليه البابوية، وهوما دفع أحد المؤرخين إلى توجيه الاتهام إلى بندكت التاسع أنه حرض على دس السم للبابا داماسوس الثانى، على أية حال فإن داماسوس كان مكروهاً من الايطاليين الذين وجدوا فيه مواليا وتابعاً للإمبراطور الألمانى بدليل إظهار بلاتينا احتقاره له ولمؤيدى الحزب الإمبراطورى الألمانى لدرجة القول أنه لم يمكث فى منصبه سوى أيام ولم يلحق معارضوه أن يجلسوا ليتدبروا أمره وهو لا يستحق وضع اسمه فى قائمة البابوات [33].

المحور الخامس: وثيقة البابا نيكولاس الثانى In nomine Domini عام 1059م ودورها فى إنهاء إقالة البابوات.

لقد قام البابا نيكولاس الثانى بكتابة هذه الوثيقة فى الثالث عشر من شهر إبريل عام 1059م ، بعد أن عانى مؤلفها من ضغوط وظروف عاصفة أحاطت بعملية انتخابه؛ حيث كانت وفاة البابا ستيفن التاسع Stephen IX (1057– 1058م) هى الشرارة التى وضعت يد البابا نيكولاس على مكمن الخطر، فقد تم إرسال مبعوثين للإمبراطور الألمانى لنيل موافقته على ترشيحات البابوية، وتم الاتفاق على تعليق الانتخابات حتى عودة المبعوثين من ألمانيا، لكن بعض رجال الدين نقضوا عهدهم وقاموا باختيار رجل يدعى جيوفانى ليكون البابا وقد اتخذ اسم البابا بندكت العاشر Antipope Benedict X (1058– 1059م) وقد تمت عملية اختياره وسط اتهامات بالرشوة وعدم الشفافية وفوضى المتصارعين على الكرسى البابوى، وبمجرد عودة مبعوثى البابوية من ألمانيا تم عقد مجمع دينى فى سوترى Sutri عام 1059م دُعى إليه رجال الدين والأمراء الإيطاليون؛ حيث تم إصدار عدة قرارات أهمها إلغاء انتخاب بندكت العاشر وإقالته من المنصب البابوى، وبناء على ما سبق تم انتخاب البابا نيكولاس الثانى Nicholas II (1059–1061م) لإعتلاء الكرسى البابوى [34]. بتحليل الأحداث السابقة يمكننا إدراك أن الإمبراطور هنرى الثالث مارس صلاحياته كحامى للبابوية فأحكم قبضته على الانتخابات البابوية بشكل فج، كما أن تدخلات الأرستقراطية الإيطالية لم تتوقف لأنها غالباً ما تعارضت مع الرغبة الإصلاحية

[33] Arnulf Of Milan: op. cit., book III, chap. 2; Platina, B: op. cit., pp. 273– 274; Horace Mann: op. cit., vol. 5, pp. 290– 291.

[34] Platina, B: op. cit., pp. 278; in Regesta Pontificum Romanorum ab Condita Ecclesia ad annum post Christum natum MCXCVIII, pp. 557 – 558.

التى بدأت إرهاصاتها منذ عهد البابا جريجورى السادس حتى عهد البابا نيكولاس الثانى، وأصبح المزاج العام لرجال الدين داخل البلاط البابوى هو الامتعاض من التدخلات الألمانية والإيطالية على السواء؛ فكلا الطرفين أراقا ماء وجهيهما فى طلب الكرسى البابوى ووقعا فى مستنقع من الدماء والاغتيالات والفضائح الأخلاقية والسياسية.

عند هذا المنحنى الخطير تفتق ذهن البابا نيكولاس عن إرادة إصلاحية كانت هى الشرارة التى فتحت الباب أمام تقنين الانتخابات البابوية ووضع شروط لمن يتم اختيارهم أو إقالتهم وعزلهم من المنصب البابوى؛ بحيث يتم حماية الانتخابات البابوية من التدخلات الخارجية لإعادة الهيبة للكرسى البابوى؛ والحالات التى يتم فيها إقالة البابا وعزله من منصبه، ونعنى بذلك وثيقة البابا نيكولاس الثانى التى عُرفت باسم In nomine "Domini" وهى مصطلح لاتينى يعنى "باسم الرب"، وكانت تلك الوثيقة هى نقطة الإنطلاق للحفاظ على استقلال البابوية ومواجهة تدخلات السلطة الزمنية فى الإنتخابات البابوية سواء من الأباطرة أو النبلاء الإيطاليين، وقد خرجت تلك الوثيقة فى عام 1059م بعد عقد مجمع اللاتيران الكنسى synod of Lateran فى روما بهدف إصلاح نظام انتخاب البابوات؛ وقد صدرت الوثيقة فى نسختين: الأولى نسخة بابوية PAPAL VERSION. من ستة بنود، أما النسخة الثانية فهى إمبراطورية Imperial Version من خمسة بنود إمبراطورية [35].

لتبيان أهمية تلك الوثيقة وأثرها على تراجع ظاهرة إقالة البابوات فى عصور البابوية المظلمة بخاصة، سنجد أن أول بند فى الوثيقة الإمبراطورية وضع قاعدة اشترطت أنه بعد وفاة البابا من يقوم باختيار البابا هم الكرادلة فى روما وثانى بند: لأن كنيسة روما هى التى لها السيادة على كل كنائس العالم فإن من يختار البابا من كاردينالات روما فقط من يملكون رفع البابا إلى الكرسى الرسولى . ثالثاً:منعا للفساد والتدخلات يكون الملك هنرى فقط والكاردينالات من لهم حق الإشراف والانتخاب البابوى. رابعاً: يكون البابا المرشح من روما وإن لم يتوافر شخص مناسب يمكن حينئذ الاختيار من خارج كنيسة روما. خامساً: إذا ساد الفساد والانحراف من الأشرار بحيث يصعب عمل انتخاب حر يكون للكاردينالات الحق فى الإختيار مهما قل عددهم بمساعدة الملك هنرى. سادساً:إذا

[35]Platina, B: op. cit., pp. 278- 289; pope Nicholas II: Decree of 1059 Concerning Papal Election, in Select Historical Documents of the Middle Ages, Trans. & ed. By Ernest F. Henderson, George Bell & Sons, London, 1892, pp. 361.

كان هناك حالة حرب أو نزاعات تمنع تنصيب البابا الذى تم اختياره فى الانتخابات البابوية يكون للبابا الذى تم اختياره حرية التصرف فى مصادر دخل البابوية وإدارة كل موارها وفقاً للأعراف والتقاليد [36] .

ويجب التأكيد على أنه بمقارنة النسخة البابوية والتى عدد بنودها ستة مع النسخة الإمبراطورية التى عدد بنودها خمسة فقط تبين للباحثة أن البند الذى تم إزالته –سواء بعمد أو بغير قصد– من النسخة الإمبراطورية هو البند الثانى الذى يؤكد أن سيادة كنيسة روما على كنائس العالم يجعل لكرادلة روما فقط دون غيرهم يتمتعون بحق اختيار البابا، مما يعنى أن هذا البند يحجم سلطة الإمبراطور الألماني ويمنعه من التدخل برجال دين من خارج روما لتفتيت الأصوات أو التلاعب فى الانتخابات بمرشحين من خارج كنيسة روما، كما يجب الإشارة إلى أن تحديد اسم الملك هنرى –الذى لم يكن قد تم تنصيبه إمبراطوراً بعد– ليكون له وحده حق الاشراف على الانتخابات البابوية يدل على تربص البابوية ورغبتها بربط التدخل بشخص هنرى الرابع فقط، وإلا كان الأصح هو القول الأمبراطور الألمانى بدون تحديد اسم حتى يكون التعميم لكل من يتول الإمبراطورية وليس هنرى فقط. ولا يخفى على أحد صعوبة أن يكون الإمبراطور فى ألمانيا له سيطرة عن بعد فيمن يختاره كاردينالات روما ليجعلوه على كرسى بطرس الرسول.

ينبغى التنويه بأن بنود وثيقة نيكولاس الثانى لعبت دوراً كبيراً فى الحد من ظاهرة الإقالات فى كنيسة روما بدليل ما ذكره بارثيليميو بلاتينا حينما أشار للقرارات الواردة فى مجمع اللاتيران على هامش وثيقة نيكولاس الثانى بأنه يقتصر انتخاب البابا على الكاردينالات فى روما فقط، أما السلطة الزمنية فيكون رأيها استشارياً غير ملزم، إذا ثبت حصول البابا على الكرسى البابوى بالسيمونية يتم إقالته وإلغاء انتخابه، بالإضافة لذلك إذا ثبت على البابا حصوله على منصبه عن طريق الاستعانة بالأمراء الإيطاليين لترجيح كفته؛ كما يحظر على من يرغب فى الترشح للكرسى البابوى تحريض عامة الشعب أو أية قوة مسلحة عسكرية للتدخل فى الإنتخابات البابوية أو السعى لأى مساعدة بشرية حتى ترفعه على الكرسى البابوى [37].

---

[36] Platina, B: op. cit., pp. 278- 289; pope Nicholas II: Decree of 1059 Concerning Papal Election, pp. 361- 362, 364- 365.

[37] Platina, B: op. cit., pp. 278- 289.

وفى سياق متصل حينما تناول البند الأول أنه بعد وفاة البابا يجتمع الكاردينالات لاختيار من يتولى البابوية، يتجلى لنا أن اجتماع الكاردينالات مرتبط بوفاة البابا التى أصبحت بذلك شرطاً وجوبياً؛ بمعنى أن اختيار بابا جديد لا يتم إلا بموت البابا السابق ولا يعتد هنا بالعزل أو الإقالة طالما البابا السابق على قيد الحياة، ويكون بذلك الموت فقط هو من ينهى العلاقة بين البابا والكرسى البابوى، ولا يتم إجتماع الكاردينالات لانتخاب بابا جديد إلا بموت البابا السابق.

إن المتأمل فى وثيقة البابا نيكولاس الثانى ليحلل قراراتها سيتبين أن العنوان الذى تم إختياره للوثيقة هو " باسم الرب" أى أن قرارات الوثيقة ملزمة وتم وضعها باسم الرب، وهو ما يمثل استدعاء للهيبة والعصمة الإلهية لقرارات الوثيقة، بالاضافة إلى أن الوثيقة تمثل انقلاباً صريحاً على السلطة الزمنية للحكام والأباطرة وسلطتهم فى التدخل فى الانتخابات البابوية، بعد أن ظلوا لعقود طويلة يستبيحون البابوية ودماء رجالها.

تعتبر وثيقة البابا نيكولاس الثانى "In nomine Domini" هى نقطة الانطلاق للحفاظ على استقلال البابوية، ومنع تدخل السلطة الزمنية فى انتخاب البابوات سواء من الأباطرة أو النبلاء الإيطاليين، وعلى الرغم من أن هناك حالات استثنائية بعد عام 1059م للإطاحة ببعض البابوات، إلا أنها كانت حالات محدودة وعلى فترات زمنية متباعدة وتعد على أصابع اليد الواحدة، كما يحسب لتلك الوثيقة أنها أحجمت تلاعب العلمانيين فى اختيار البابوات والإطاحة بالبعض لصالح أتباعهم من رجال الدين الذين يدورون فى فلك الملوك والأباطرة، كما يحسب لتلك الوثيقة أنها جمعت شتات البابوية بعد فترة من فوضى الإقالات تركزت فى نهايات القرن التاسع والعاشر حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى.

الخاتمـــــة

لقد قام البحث بوضع تعريف لمصطلح إقالة البابوات فى العصور الوسطى بأنه "إجبار البابا مادياً أو معنوياً على ترك منصبه وعزله عن الكرسى البابوى ضد إرادته ورغبته الحرة وتعيين آخر يحل محله بمقتضى مجمع كنسى أو قرار إمبراطورى لأسباب قد تكون صحيحة أو خاطئة ". ومن خلال هذا التعريف توصلت الدراسة أن إقالة البابوات كانت عرضاً لمرض؛ بمعنى أنها كانت إحدى مؤشرات ضعف المنظومة البابوية وسهولة اختراقها من السلطة الزمنية، أو من بعض رجال الدين المنشقين للتحكم فيمن يتولى المنصب البابوى.

كانت إقالة البابوات يصعب تتبعها فى بدايات التاريخ الكنسى قبل الاعتراف بالديانة المسيحية لأن الكنيسة وبابواتها كانوا مضطهدين ولا يعلنون عن أنفسهم بشكل مباشر، خاصة أن أغلبهم كان يقتل على يد الأباطرة والحكام الوثنيين، وبعد الاعتراف بالديانة المسيحية اعتبر أباطرة بيزنطة المسيحيون أن سيطرتهم على انتخاب البابوات أو إقالتهم، يمثل مظهراً من مظاهر ممارسة السيادة الإمبراطورية البيزنطية على كنيسة عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة، ولهذا حرص الإمبراطور البيزنطى على أن يكون اختيار البابا فى روما بعد موافقته وقبوله ترشيح البابا الجديد، وإلا فإنه يتدخل بالقوة الجبرية لإقالة وعزل البابا فى روما. وعلى الرغم من ذلك فإن إقالة البابوات فى العصر البيزنطى كانت تنتهى بالنفى خارج الأراضى الإيطالية حتى ينقضى أجل البابا أو يصفح عنه الإمبراطور البيزنطى؛ ولذلك كانت الإقالات من المنصب البابوى غالبا ما تتم دون الخوض فى الدماء والقتل.

فى نهايات القرن التاسع الميلادى مروراً بالعصور المظلمة البابوية كانت إقالة البابوات مقترنة بالعنف والقتل على مدار ما يقرب من سبعين عاماً، وربما كان السبب الرئيسى أن بابوات تلك الحقبة المظلمة لم يتوانوا عن القتل والاغتصاب والسرقة لضمان كرسى البابوية، وهو ما أخذ من رصيدهم وهيبتهم أمام الحكام والمحكومين على السواء. وربما يرجع ذلك إلى أن بابوات هذا العصر بما عرف عنهم من جشع وفساد أخلاقى وتمسك بالسلطة والنفوذ لم يكونوا ليتنازلوا عن الكرسى البابوى طوعاً، فى الوقت الذى لم يعد لموروث السمو البابوى أثر بسبب رجال مثل سرجيوس الثالث و يوحنا العاشر أو يوحنا الثانى عشر، لهذا كانت النهايات التى أعقبت الإقالة فى العصور المظلمة للبابوية دموية وصادمة.

كما تبين أيضاً أن إقالة البابوات سواء باستخدام القوة المادية أو المعنوية يصاحبها غالبا ظاهرة البابوات المغتصبين للعرش Antipopes ؛ لأن البابا بوصفه خليفة السيد المسيح وبطرس الرسول لا يترك منصبه إلا بالموت ولا يقدر أحد على محاكمته وعزله لأنه ببساطة لا توجد سلطة أعلى منه تملك هذا الحق ومادام البابا على قيد الحياة أو ترك المنصب بدون إرادته فأى بابا جديد يأتى مكانه فهو بالضرورة يعد مغتصباً للكرسى البابوى.

تعتبر وثيقة البابا نيكولاس الثانى "In nomine Domini" هى نقطة الانطلاق للحفاظ على استقلال البابوية، وتراجع ظاهرة إقالة البابوات على يد السلطة الزمنية أو

الكنسية؛ وذلك لأن منعهم من التدخل فى إنتخاب البابوات أبطل الحجج و الثغرات التى كان يتم بها إقالة البابا، وعلى الرغم من أن هناك حالات استثنائية بعد عام 1059م وحتى التاريخ الحديث لإقالة بعض البابوات، إلا أنها كانت حالات محدودة وعلى فترات زمنية متباعدة ونادرة، كما يحسب لتلك الوثيقة أنها حجمت تلاعب العلمانيين فى اختيار البابوات والإطاحة بالبعض لصالح أتباعهم من رجال الدين الذين يدورون فى فلك الملوك والأباطرة، كما يحسب لتلك الوثيقة أنها جمعت شتات البابوية بعد فترة من فوضى الإقالات تركزت فى نهايات القرن التاسع والعاشر حتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى.

تعتبر وثيقة البابا نيكولاس الثانى اللبنة الأولى فى صرح الإصلاح الجريجورى The Gregorian Reform؛ الذى حققه البابا جريجورى السابع Gregory VII (1073- 1085م) لأن تلك الوثيقة اجمعت شتات البابوية وأحيت ماتبقى من هيبتها وسمعتها التى أصبحت فى الحضيض، وأن كان البابوات العظام فى العصور الوسطى يرفضون التقليد العلمانى أو عزل رجال الكنيسة دون إرادة البابا، فمن باب أولى أن يحظى البابا ومنصبه بهذا القدر من الحصانة حتى يستطيع القيام بدوره فى إدارة الصراع بين الدولة والكنيسة فى العصور الوسطى.

قائمة المصادر الأجنبية

- **Anastasius Bibliothecarius:** Epistolae et privilegia Stephanus Papa, in Anastasius Bibliothecarius, Patrologiae latina, Jacques-Paul Migne, Tomus CXXIX (129).
- **Anonymous:** Regesta Pontificum Romanorum ab Condita Ecclesia ad annum post Christum natum MCXCVIII," Silvester III antipapa", ed. Philippus Jaffe, tomus primus, Lipsiae Veit et comp., 1885.
- **Anonymous:** Chronicon Salernitanum, *A critical edition with Studies on Literary and Historical Sources and on Language*, a cura di U. Westerbergh, Stockholm, 1956.
- **Arnulf Of Milan:** The Book Of Recent Deeds, Trans. by W.L. North, from the edition Of Claudia Zey (MGH Scriptors Rerum Germanicarum 67),Hannover, 1994.
- **Attonis Vercellensis Episcopi:** Opera Omnia Accedunt Leonis VIII Antipapa Epistolae et Constitutiones, in Patrologiae latina, Jacques-Paul Migne, Tomus CXXXIV (134), 1853.
- **Einhard:** The Life of Charlemagne , Tran. By Samuel Epes Turner, Harper brother, New York, 1880.
- **Eusebius of Caesarea**: Eusebius the Church History, A New Translation with Commentary by Paul L. Maier, Kregel publications, 1999.
- **Evagrius Scholasticus:** The Ecclesiastical History of Evagrius "History of The Church from AD 431 to AD 594, Edited and trans. by Edward Walford, Published by H.G. Bohn, London, 1854.
- **Joannes Papa XII** Anno Domini DCCCCLXIII (963) , in Patrologiae latina, Jacques-Paul Migne, Tomus CXXXIII (133), 1853,
- **Liutprand of Cremona:** Works of Liutprand of Cremona, trans. & introduction by F. A. Wright, E. P. Dutton &CO., New York, 1930.
- **Platina, Bartolomeo:** The Lives of The Popes "from The Tim of our Saviour Jesus Christ to The Accession of Gregory VII", trans. & edited by Benham B. D,Griffith Farran & CO., London.
- **Theiner Augustin**: Codex Diplomaticus Dominii Temporalis S. Sedis "756 -1334", Tome premier, Rome Imprimerie du Vatican, Rome, 1861.
- **Theophanes:** The Chronicle Of Theophanes, Trans. By Harry Turtledove, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1982.
- **Thietmar of Merseburg**: The Chronicon of Thietmar of Merseburg "Ottonian Germany", trans. & annotated by David A. Warner, Manchester University Press, Manchester, New York, 2001.
- **Victoris III Romani Pontificis**: Victoris III Papa "Concio Habita in synodo Beneventana De damnatione Guiberti de recentibus schismaticis vitandis Concilii canones BARON Annal ad an 1087 tom XI, Liber Tertius Qui est de miraculis alibi gestis, in Patrologia *Latina*, tomus CXLIX (149) , Bibliothecae Cleri Universae, 1853.

قائمة المراجع

- **Baumgartner, McNamara:** Behind locked doors "a history of the Papal elections", first edition, Palgrave Macmillan, New York, 2003.
- **Ferdinand Gregorovius:** History of the City of Rome in the Middle Ages "800 – 1002", vol. 3, trans. from German edition by Annie Hamilton, G. Bell & sons, London, 1903.
- **George Williams:** Papal Genealogy "The Families and Descendants of the Popes", Mcfarland & company, London, 1998.
- **Horace Mann:** The Lives of The Popes in The Early Middle Ages "The Popes in The days of Feudal anarchy", vol. 5 "999 – 1048", Kegan Paul &co. Ltd., London, 1910.
- **Jerry L. Walls:** The Problem of Bad Popes" The Argument from Conspicuous Corruption", in Perichoresis, vol. 18, Houston Baptist University, 2020.
- **Jo Ann Mcnamara and Suzanne Wemple**: The Power of Women through the Family in Medieval Europe 500-1100, vol. 1, Feminist Studies, Women's History, (Winter – Spring), Feminist Inc., 1973.
- **Robinson S.:** Reform and the Church (1073 -1122), in N. Cam. Med. His , vol. 4, Cambridge University Press, Cambridge.